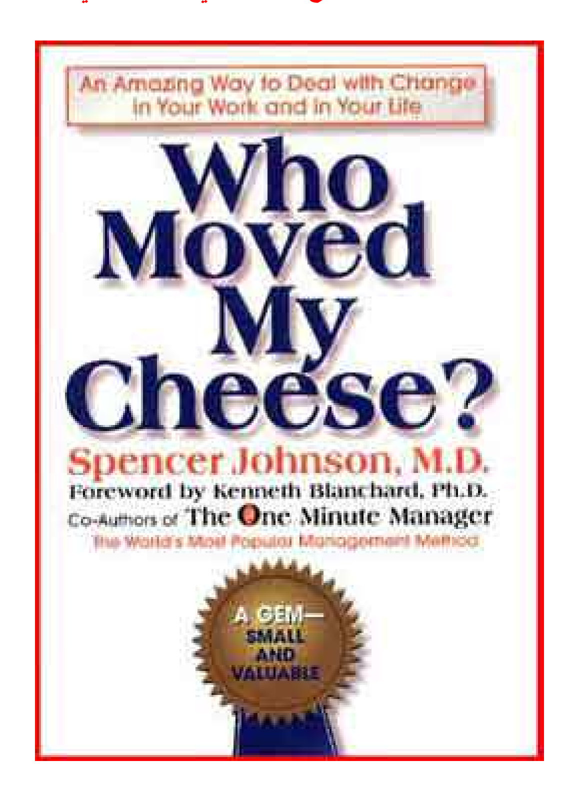
من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي؟

طريقة مدهشة للتعامل مع التغيير في حياتك وفي عملك



مقدمة:

من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي؟ هي حكاية رمزية ذات مغزى اخلاقي تكشف اعمق الحقائق حول التغيير. انها قصة مسلية تنويرية تدور حول اربعة اشخاص يعيشون في متاهة، ويبحثون عن قطع الجبن التي تمدهم بالغذاء وبالسعادة ايضا.

اثنان منهم فأران يطلق عليهما «سنيف» و «سكوري» والإثنان الآخران قزمان في حجم الفئران ولكنهما يبدوان ويتصرفان كالبشر ويدعيان «هيم» و «هاو».

والجبن ماهو الا استعارة مجازية عما تريد ان تحققه في حياتك سواء أكان وظيفة مرموقة او علاقة حب او مركز او صحة جيدة او سلام العقل والروح.

والمتاهة هي مجاز عن المكان الذي تبحث فيه عما تريد كالمؤسسة التي تعمل بها او العائلة او المجتمع الذي تعيش فيه.

وابطال القصة يواجهون تغيرات غير متوقعة وفي النهاية ينجح احد الفريقين في التعامل مع الموقف بنجاح ويكتب ما تعلمه من هذه التجربة على جدران المتاهة. وعندما تقرا ما كتب على الجدران تكتشف بنفسك كيف يمكنك ان تستمتع بحياتك وتقلل من ضغوطك وتحقق المزيد من النجاح في اي مجال يروقك سواء العمل او في حياتك.

هذه القصة كتبت لجميع الاعمار ويمكن قراءتها في ساعة واحدة ولكن البصيرة النافذة والفريدة التي تحتوي عليها ستلازم ذاكرتك مدى العمر. فلنبحر في هذه القصة المشوقة.

من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي ؟

قصة وراءها قصة
بقلم د. كينيث بلانشارد

إنني أشعر بسعادة بالغة، لأنني سأقدم لكم القصة التي كانت السبب وراء خروج كتاب « من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي ؟ » إلى حيز الوجود، وهذا يعني أن الكتاب الآن أصبح مكتوبا ومتاحا للجميع كي يقرؤوه، ويستمتعوا به، ويتقاسموا فائدته مع الآخرين.

هذا هو الشيء الذي أردت أن يحدث بشدة منذ سمعت سبنسر جونسون لأول مرة، وهو يتحدث عن قصته العظيمة « الجبن » منذ عدة أعوام قبل أن نشترك أنا وهو في تأليف كتابنا « مدير الدقيقة الواحدة ». أتذكر أنني وقتها شعرت بجمال القصة، وكيف أنني أستطيع أن أستفيد منها منذ تلك اللحظة، وما زلت أستفيد منها حتى الآن.

هذا الكتاب عبارة عن قصة ـ تتحدث عن ـ التغيير الذي يحدث داخل متاهة يوجد بها أربعة أشخاص ظرفاء يحاولون البحث عن قطعة « جبن »، وقطعة الجبن هنا هي رمز لما نريد أن نحصل عليه في حياتنا، سواء كان وظيفة، أو إقامة علاقات مع الآخرين، أو الحصول على المال، أوعلى منزل كبير، أو على الحرية، أو الصحة، أو الاهتمام، أو السلام الروحي، أو أية هواية كلعب الجولف أو التريض.

كل فرد منا لديه تصوره الخاص عن « قطعة الجبن » تلك، ونحن نحاول البحث عنها، لأننا نؤمن بأن فيها سر سعادتنا، فإذا ما حصلنا عليها، نتعلق بها، أما إذا فقدناها، أو أخذت منا غصبا فسوف نشعر بألم شديد.

أما « المتاهة » في القصة، فهي ترمز إلى المكان الذي تمضي فيه وقتك بحثا عن ضالتك المنشودة، وقد يكون هذا المكان شركة، أو مجتمعا تعيش فيه، أو علاقاتك التي تحظى بها في حياتك.

وكثيرا ما أذكر قصة الجبن هذه في محاضراتي التي ألقيها في كل أرجاء العالم، وأعرف من كثيرين فيما بعد مدى التأثير الذي أحدثته في حياتهم.

صدق أو لا تصدق، أن لهذه القصة الفضل في إنقاذ زيجات ووظائف، بل أرواح و بشر !

ويذكر لنا تشارلي جونز ـ المذيع المشهور بتلفزيون إن بي سي أحد أمثلة الحياة الواقعية العديدة التي تثبت أن سماعه لهذه القصة قد أنقذ وظيفته، فوظيفته كمذيع وظيفة فريدة ولكن المبادىء التي استقاها تصلح لأي شخص. وفيما يلي ما حدث : كان تشارلي يعمل بجد، وكان بارعا في إذاعته أحداث ألعاب الأولمبياد وخاصة مسابقات ألعاب القوى، ولذلك انتابته الدهشة، وانزعج عندما سمع رئيسه في العمل يخبره أنه لن يذيع هذه المباريات الرياضية في الأولمبياد القادمة، حيث تقرر له إذاعة مباريات السباحة والغوص.

ولعدم معرفته العميقة بهاتين الرياضتين، أصابه الإحباط، وشعر بأنه غير مرغوب فيه و أصبح غاضبا، وقال إنه شعر بأن ذلك الأمر غير عادل ! وطغى غضبه على كل شيء، وأثر على عمله. عندئذ سمع عن هذه القصة.

وبعد أن قرأها قال إنه ضحك على ما كان يفعل وغير موقفه، حيث أدرك أن رئيسه « قد حرك قطعته من الجبن»، وهكذا تكيف مع الموقف الجديد وتعلم الرياضتين الجديدتين، وأثناء تعلمه، وجد أن القيام بشيء جديد يشعره بصغر السن. ولم يمر وقت طويل حتى أدرك رئيسه موقفه الجديد وطاقته في العمل، وسرعان ما تولى أعمالا أفضل، وأصبح يستمتع بنجاح أكبر مما كان عليه.

لقد كانت هذه مجرد قصة واحدة من القصص الحقيقية العديدة التي قد سمعتها عن تأثير هذه القصة على الناس ـ بدءا بحياتهم العملية وحتى حياتهم الزوجية.

إنني من أشد المؤمنين بهذه القصة، وقد وزعت منها بالفعل عديدا من النسخ على كل من لاقيت (أكثر من ٢٠٠ شخص)، ممن يعملون مع شركتنا. لكن لم ؟

نظرا لكونها مثل أية شركة لا تبغى البقاء في المستقبل وحسب، ولكنها تريد البقاء على قدر المنافسة، فإن شركة بلانشارد للتدريب والتنمية دائمة التغير، حيث يداومون على تحريك « قطعة الجبن »، وبينما كنا في الماضي بحاجة إلى موظفين أوفياء، فإننا اليوم نريد أشخاصا يتمتعون بالمرونة، وليسوا متعنتين بشأن الطريقة التي ينفذون بها أعمالهم.

وحتى الآن، كما تعلمون فالعيش وسط جو من الثبات والركود مع حدوث تغييرات طوال الوقت في العمل والحياة، يمكن أن يولد الضغط العصبي إذا لم يكن لدى الناس وسيلة للأخذ بالتغيير الذي يساعدهم على فهم ما يدور حولهم، وإليك قصة الجبن.

عندما رويت القصة للناس ثم طالعوها شعروا ـ كما ستشعر أنت ـ أن شحنة الطاقة السالبة التي كانت في طريقها للخروج قد تلاشت تماما وقام العديد من الموظفين من مختلف الأقسام في شركتي بتوجيه الشكر إلي على تقديم هذا الكتاب لهم، وأخبروني عن مدى استفادتهم من قراءته في رؤية التغيير الذي يحدث بشركتنا بنظرة مختلفة تماما. صدقني، فقد لا تستغرق وقتا في قراءة تلك الأقصوصة ولكن يمكن أن يكون أثرها عميقا.

وعندما تتصفح الكتاب ستجد أنه مقسم إلى ثلاثة أجزاء، ففي الجزء الأول ــ يطلق عليه اسم التجميع ــ تجد مجموعة من الزملاء ممن كانوا معا في فصل دراسي واحد يجتمعون ويحاولون التحدث عن التغييرات التي طرأت على حياة كل منهم وكيف تعامل معها، والجزء الثاني هو قلب الكتاب واسمه « من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي ؟ » أما الجزء الثالث فهو المناقشة، وهي عبارة عن عدة أشخاص يتناقشون بشأن ما تهدف إليه القصة، ومغزاها بالنسبة لهم، وكيف أنهم استخدموها في أعمالهم وحياتهم.

وقد فضل بعض قراء هذا الكتاب ـ الذين اطلعوا عليه قبل أن تتم طباعته الطبعة النهائية ــ أن يتوقفوا عند نهاية القصة دون قراءة المزيد واستجلاء مغزاها لأنفسهم، واستمتع البعض بقراءة المناقشة، لأنها حفزت تفكيرهم بشأن كيفية تطبيق ما تعلموه في مجابهة ما يقابلهم.

على أية حال، أتمنى أن تجد في كل مرة تعاود فيها قراءة القصة، شيئا جديدا ومفيدا ـ كما أجد أنا ــ وأن تساعدك على التأقلم مع التغيير وتجلب لك النجاح، مهما كان معناه بالنسبة لك. آمل أن تستمتع بما تكتشف، و أتمنى لك حظا وافرا. تذكر أن تتحرك مع الجبن !

كين بلانشارد
سان دييجو ١٩٩٨

الفصل الأول: التجمع (شيكاغو)

ذات يوم مشمس، اجتمع في شيكاغو مجموعة من زملاء الدراسة القدامى لتناول الغداء معا، وكانوا قد حضروا في الليلة السابقة حفل التخرج بمدرستهم الثانوية، وأرادوا معرفة المزيد عما حدث لكل منهم، وبعد قضاء بعض الوقت في المزاح وتناول الطعام اللذيذ الشهي، خاضوا في حوار شائق.

فقالت أنجيلا، وقد كانت واحدة من أشهر تلاميذ الفصل ـ : « إن الحياة بالتأكيد قد مضت على نحو مختلف عما كنت أراه عندما كنا بالمدرسة، فقد تغير الكثير ».

وردد ناثان : « لا شك في ذلك » وكما يعلمون، فقد عرفوا أنه كان يقوم بإدارة شركة أسرته ـ التي سارت على نفس نهجها، و أصبحت جزءا من المجتمع المحلى لمدة طويلة ـ لذلك، فقد كانوا مندهشين عندما بدا عليه الهم والحزن، وطرح تساؤلا : « ولكن ألا ترون كيف أننا لا نبغى التغيير عندما تتغير الأشياء ؟ ».

قال كارلوس : « أعتقد أننا نقاوم التغيير، لأننا نخشاه ؟.

قالت جيسيكا : « لقد كنت قائد فريق كرة القدم يا كارلوس، ولا أعتقد قط أني سمعتك تذكر أي شيء عن كونك تخاف ! ».

فضج المكان بالضحكات عندما أدركوا أنه على الرغم من اختلاف توجهاتهم ـ من العمل بالمنزل إلى إدارة الشركات ـ ما زالوا يشعرون بنفس الشعور القديم. لقد كان كل شخص يحاول مجاراة التغييرات غير المتوقعة التي كانت تحدث لهم في السنوات الأخيرة، واعترف الجميع بأنهم لا يعرفون طريقة جيدة للتعامل مع هذه التغييرات.

عندئذ قال مايكل : « لقد اعتدت الخوف من التغيير، وعندما حدث تغيير هائل في أعمالنا، لم نعرف كيف نتصرف حياله، ولذا فلم نؤد أي شيء بطريقة مختلفة، وكنا على وشك الضياع.» واستدرك قائلا : « كان ذلك هو الحال حتى سمعت قصة طريفة غيرت مجرى كل شيء ».

سأل ناثان : « كيف ذلك ؟ ».

« حسنا، لقد بدلت تلك القصة الطريقة التي أنظر بها إلى التغيير، وبعد ذلك، تحسنت الظروف سريعا، في عملي وحياتي الشخصية على حد سواء.»
« ثم نقلت هذه القصة إلى بعض الأشخاص الذين يعملون بشركتنا وتناقلوها فيما بينهم، وسرعان ما تحسن الوضع بالشركة، نظرا لأننا جميعا انتهجنا سياسة التغيير وغيرنا نظرتنا إليها، وكما هو الحال معي، فقد قال العديد من الأشخاص إن هذه القصة ساعدتهم في حياتهم الشخصية ».

وتساءلت انجيلا : « وما هي تلك القصة إذا ؟ »

قال مايكل : إنها تحمل عنوانا يقول « من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي ؟ »
وضحك الجميع، وقال كارلوس : « أعتقد أنني أحب الجبن بالفعل، هل لك أن تحكي لنا قصتها ؟ »
قال مايكل : « بالتأكيد، وبكل سرور، فلن يستغرق سردها وقتا طويلا » وهكذا بدأ في سرد القصة.

الفصل الثاني: القصة

ذات مرة، ومنذ وقت بعيد في أرض بعيدة، كان هنـاك أربـع شخصيات صغيرة تجري داخل متاهة بحثا عن قطعة جبن تطعمها، لتحيا حياة سعيدة. وكان منها فأران اسمهما « سنيف » و « سكورى »، واثنان قزمان يماثلان في حجمهما حجم الفأرين، ولكن تصرفاتهما كانت تشابه كثيرا تصرفات البشر اليوم، واسماهما « هيم » و « هاو ». وبفضل حجميهما الصغير كان من السهل عدم ملاحظة ما كان يقوم به هؤلاء الأربعة، ولكن إذا نظرت إليهما عن كثب، يمكنك أن تكتشف أكثر الأشياء إثارة للدهشة. وكان الأشخاص الأربعة يقضون كل يوم وقتا داخل المتاهة باحثين عن الجبن.



وكان الفأران سنيف و سكورى ــ وهما لا يملكان سوى أسنان قارضة وغريزة قوية ــ يبحثان عن قطعة الجبن اللذيذة التي أحباها كما هو حال جميع الفئران. أما القزمان ــ هيم وهاو فقد استخدما عقليهما مع الاستعانة بالعديد من المعتقدات من أجل البحث عن نوع مختلف تماما من الجبن مميز عن غيره، وكانا يعتقدان أنه سيجعلهما يشعران بالسعادة والنجاح.

وعلى الرغم من أن هناك اختلافا بين الفأرين والقزمين، إلا أنهم جميعا يشتركون في شيء ما : أن كلا منهم يقوم كل صباح مرتديا بدلة العدو وحذاء الجري، تاركين منازلهم الصغيرة، حيث يبدؤون السباق داخل المتاهة باحثين عن الجبن المفضل لديهم.
كانت المتاهة عبارة ممرات وحجرات يحتوي بعضها على جبن لذيذ، ولكن كان بها أركان مظلمة وممرات مسدودة لا تؤدي إلى شيء، وكان من السهل أن يضل أي شخص فيها. وبرغم ذلك، فمن يجد طريقه داخل هذه المتاهة، يجد ما يجعله يستمتع بحياة أفضل.

استخدم الفأران ــ سنيف و سكورى ــ طريقة المحاولة و الخطأ البسيطة وغير المجدية للبحث عن قطعة الجبن، فقد كانا يدخلان أحد الممرات، و إذا وجداه فارغا تركاه وانتقلا إلى غيره. وكان سنيف يشم الجبن باستخدام أنفه الكبير، وبناء عليه يحدد الاتجاه الخطأ، وكثيرا ما ارتطما بالجدران.

وعلى الرغم من ذلك، فقد استخدم القزمان ــ هيم وهاو ــ طريقة مختلفة تعتمد على قدرتهما على التفكير والتعلم من خبراتهما الماضية، ولكن كانا في بعض الأحيان يرتبكان بسبب معتقداتهما وعواطفهما. أخيرا، اكتشف الجميع ما كانوا يبحثون عنه، ووجد كل منهم ذات يوم نوع الجبن المفضل لديه في أحد الممرات في « محطة الجبن ج».

وبعد ذلك تعودت الشخصيات الأربع كل صباح على ارتداء ملابسها والتوجه إلى محطة الجبن « ج» ولم ينقض وقت طويل حتى تعود كل منها على هذا الروتين في الوصول إلى قطعة الجبن. استمر كل من سنيف و سكورى في

الاستيقاظ مبكرا كل يوم و الدخول في سباق خلال المتاهة، وعادة ما كانا يتبعان نفس الطريق. وحال وصولهما إلى وجهتهما يتخلص الفأران من حذاء العدو، ويقومان بربط حذائيهما حول رقبتيهما، حيث يسهل عليهما الوصول إليهما سريعا عندما يحتاجانهما مرة أخرى، ثم يستمتعان بالجبن.

وفي البداية، كان كل من هيم و هاو يقومان بالتسابق تجاه محطة الجبن « ج » كل صباح ليستمتعا بالطعم اللذيذ لقطعة الجبن التي طال انتظارها. ولكن بعد فترة، اتبع القزمان روتينا مختلفا.

كان هيم و هاو يستيقظان كل يوم في وقت متأخر، ويرتديان ملابسهما في بطء، ويمشيان إلى محطة الجبن «ج»، فقد عرفا مكان الجبن الآن، وكيف يذهبان إليه. لم يكن لديهما فكرة عن مصدر الجبن أو من الذي يضعه في مكانه و إنما افترضا وجوده هناك.

و بمجرد وصول هيم و هاو إلى محطة الجبن « ج » كل صباح، يستقران ويشعران بأنهما في منزلهما، ويقومان بتعليق ملابسهما وخلع حذائيهما، وارتداء خفيهما، وكانا يشعران بالارتياح والاطمئنان في ذلك الوقت، لأنهما وجدا الجبن.

قال هيم « ما أعظم هذا، فها هنا جبن يكفينا مدى الحياة » وشعر القزمان بسعادة غامرة وبنجاح باهر، واعتقدا أنهما الآن يعيشان في أمان.

لم يمض وقت طويل حتى اعتبر هيم و هاو الجبن الذي وجداه في محطة الجبن « ج » خاصا بهما. لقد كان بمثابة مخزن الجبن الذي انتقلا في النهاية إلى الإقامة بالقرب منه، ورسخا نوعا من الحياة الاجتماعية حوله. وليشعرا بأنهما في منزلهما، قاما بتزيين الجدران ببعض الأقاويل، حتى إنهما قاما برسم صور للجبن لرسم الابتسامة على وجهيهما، ومن هذه الأقاويل :

«امتلاك الجبن يشعرك بالسعادة»

في بعض الأحيان، كان هيم وهاو يقومان باصطحاب أصدقائهما ليروا أكوام الجبن المخزنة لديهما في محطة الجبن « ج »، ويشيران إليهما بفخر قائلين : « ياله من جبن رائع، أليس رائعا ؟ » وكانا يتقاسمان الجبن في بعض الأحيان مع أصدقائهما، وفي أحيان أخرى لا يقومان بذلك. وكان هيم يردد « إننا نستحق هذا الجبن، فقد تعين علينا العمل بالتأكيد لوقت طويل وبجد حتى نحصل عليه » ثم يلتقط قطعة طازجة ويلتهمها. وبعد ذلك، يستسلم هيم للنعاس كعادته.

فقد كانا يعودان كل يوم إلى منزلهما ممتلئي المعدة بالجبن، ويعودان كل صباح بثقة تامة في الحصول على المزيد. واستمر ذلك لفترة من الزمن. وبعد مرور بعض الوقت، تحولت ثقة هيم و هاو إلى تكبر وغطرسة، وسرعان ما أصبحا واثقين جدا لدرجة أنهما لم يلاحظا ما كان يحدث.

وبمرور الوقت، استمر سنيف و سكورى في طريقتهما، فقد كانا يصلان مبكرين كل يوم ويشمان محطة الجبن « ج » ويهرولان حولها ويتحسسان المنطقة، ليريا ما إذا كان قد حدث ثمة تغير عن الأمس، ثم يجلسان و يقضمان الجبن.

وذات صباح، وصلا إلى محطة الجبن « ج » ليكتشفا عدم وجود الجبن.

لم يندهشا لذلك، حيث إنهما لاحظا ان مورد الجبن كان يتناقص كل يوم، وكانا مستعدين لذلك المصير الحتمي، وكانا يعرفان غريزيا ما سيقومان به.

نظرا لبعضهما البعض، وخلعا نعليهما اللذين كانا قد أحكما ربطهما في عنقيهما و أعادا ارتداءهما وأحكما الرباط. ولم يغاليا في تحليل ما حدث، ولم يكونا مكبلين بالمعتقدات المعقدة. فبالنسبة للفأرين كان كل من المشكلة و الحل بسيطا، حيث تغير الموقف في محطة الجبن « ج »، لذا فقد قرر سنيف و سكورى أن يتغيرا.

نظر كلاهما إلى المتاهة، ورفع سنيف أنفه واشتم، ثم أشار برأسه إلى سكورى الذي انطلق مهرولا خلال المتاهة، بينما تبعه سنيف بأقصى سرعة يتحملها. وانطلقا سريعا بحثا عن جبن جديد.

وفي وقت متأخر من نفس اليوم، وصل هيم و هاو إلى محطة الجبن « ج » لم يكونا يعيران للتغيرات الطفيفة التي كانت تحدث كل يوم اهتماما، لذا فقد اعتبرا وجود الجبن هناك أمرا مسلما به. ولم يكونا مهيئين لما وجدا.

صاح هيم : « ماذا ! ألا يوجد جبن ؟ ». واستمر في صياحه : « ألا يوجد جبن ؟ ألا يوجد جبن ؟ » وكأنه عندما يصيح بصوت عال سيأتي شخص ما ويعيد لهما الجبن.

و أخذ يصرخ قائلا : « من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي ؟ »

و أخيرا، وضع يديه على فخذيه واحمر وجهه وصاح بأعلى صوته : « ليس هذا من العدل ! ».

وكل ما فعله هاو هو أنه حرك رأسه في حالة من عدم التصديق، فلقد اعتمد هو الآخر على وجود الجبن في محطة الجبن « ج ». وتوقف في مكانه لوقت طويل في حالة من الذهول من هول الصدمة؛ فلم يكن مستعدا لهذا.

كان هيم يصرخ ببعض الكلمات، ولم يكن هاو بحاجة إلى سماع ما يقوله هيم، فلم يكن يرغب في التعامل مع ما واجهه، ولذا فقد أطاح بكل شيء. لم يكن تصرف القزمين لائقا أو منتجا، ولكنه كان مفهوما.

فالعثور على الجبن لم يكن بالأمر اليسير، وكان يتطلب عملا من جانب القزمين أعظم من مجرد الحصول على كم كاف من الجبن كل يوم. فالعثور على الجبن كان بالنسبة للقزمين هو السبيل الذي اعتقد أنه هو كل ما يحتاجانه للوصول إلى السعادة، حيث كان ما يرونه عن مدى أهمية الجبن لهما يقف عند طعمه اللذيذ.

فلأحدهما، كان العثور على الجبن مجرد شيء مادي، أما الآخر فقد كان يعني له الاستمتاع بصحة جيدة أو الوصول إلى الإحساس بوجوده. بالنسبة لهاو، كان الجبن يعني مجرد الإحساس بالأمان والشعور بأنه ذات يوم سينعم ببناء أسرة سعيدة مع العيش في كوخ يملؤه الدفء.

اما هيم فالجبن عنده أصبح يعني الإحساس بالمسؤولية تجاه الىخرين، مع امتلاك منزل كبير على أحد المرتفعات.

ونظرا لأن للجبن أهمية خاصة عندهما، فقد أمضى كلاهما وقتا طويلا في محاولة اتخاذ قرار بشأن ما يتعين عليهما فعله تجاه ما حدث. كل ما كانا يفكران في فعله هو التحديق في محطة الجبن « ج » الخالية من الجبن ليتيقنا من حقيقة اختفاء الجبن.

وبينما تحرك سنيف و سكورى سريعا،استمر هيم و هاو في الثرثرة و التلعثم.

وصاحا و هذيا بالحديث عن الظلم نتيجة لما حدث، وبدأ الشعور بالكآبة يسيطر على هاو. ما الخطب، وما عساه يحدث إذا لم يكن هناك جبن بالغد ؟ فقد خطط لمستقبله على أساس وجود الجبن.

لم يصدق القزمان ما حدث. كيف أمكن لهذا أن يحدث ؟ لم يحذرنا أحد، لم يكن ذلك صحيحا، لم تكن هذه هي الطريقة التي يفترض أن تسير بها مجريات الأمور.

وعاد هيم و هاو إلى منزلهما في هذه الليلة جائعين، مثبطى الهمة، ولكن قبل المغادرة كتب هاو على الجدار :

«كلما كانت قطعة الجبن هامة بالنسبة لك، فأنت في حاجة إلى الاحتفاظ بها رغم ما تواجهه من صعاب.»

في اليوم التالي غادر هيم و هاو منزليهما عائدين إلى محطة الجبن « ج » مرة أخرى، حيث كانا لا يزالان يتوقعان أن يعثرا على قطعتهما من الجبن. لم يتغير الموقف، ولم يعد هناك وجود للجبن، ولم يعرف القزمان كيف يتصرفان حيال ما حدث ووقفا متجمدي الحركة مثل تمثالين صامتين.

أغمض هاو عينيه بقدر المستطاع ووضع يديه على أذنيه. وتمنى لو توقف الزمن، فلم يكن يرغب في معرفة أن مورد الجبن يتضاءل تدريجيا. لقد كان مؤمنا بأنها تحركت فجأة.

قام هيم بتحليل الموقف مرات و مرات، و أخيرا سيطر عقله المعقد المكتظ بالأفكار الضخمة على ما حدث، وتساءل : « لماذا قاموا بذلك تجاهي ؟، ما الذي يحدث حقا هنا ؟ ».

وفي النهاية فتح هاو عينيه، ونظر حوله قائلا : « بمناسبة ما حدث أين سنيف و سكورى ؟ هل تعتقد أنهما يعرفان شيئا غير ما نعرف ؟ ».
قال هيم : « ما هو الشيء الذي قد يعرفانه ؟ ».

واستطرد هيم قائلا : « ما هما إلا مجرد فأرين صغيرين، ولا يقومان بشيء سوى الاستجابة لما يحدث حولهما، أما نحن فبشر ونتميز عنهما. يجب أن تكون لدينا القدرة على تفسير ما حدث، وعلاوة على ذلك، نستحق نصيبا أفضل.

ما كان ينبغي أن يحدث ذلك لنا، وحتى إذا حدث، فيجب على الأقل أن ننعم بشيء من الربح و المكسب ».
و طرح هذا التساؤل : « لم لم يتعين أن نجني ربحا ؟ ».
أجاب هيم : « لأننا ملتزمان ».
و أراد هاو أن يعرف « ملتزمان تجاه أي شيء ؟ »
« إننا ملتزمان تجاه تجاه جنبنا »
تساءل هاو : « لم ؟ ».
قال هيم : « لأننا لم نتسبب في هذه المشكلة، بل تسبب فيها شخص آخر، و يتعين القيام بأي شيء للخروج من هذا الموقف »
و اقترح هاو : « ربما يتعين علينا أن نكف عن تحليل الموقف بصورة مبالغ فيها، دعنا ندخل المتاهة ولنبحث عن جبن جديد »
قال هيم : « يا إلهي بل سوف أتطرق إلى أعماق هذا الأمر »

وبينما كان يحاول كل من هيم و هاو اتخاذ قرار بشأن تصرفهما حيال ما حدث، كان سنيف و سكورى قد تغلبا بالفعل على ما حدث و مضيا في طريقهما، ودخلا المتاهة مارين بجميع ممراتها من أعلى إلى أسفل باحثين عن الجبن في كل محطة جبن يمكن أن يجداها. و لم يفكرا في أي شيء سوى الحصول على قطعة جبن جديدة. لم يجدا أي شيء لبعض الوقت حتى ذهبا أخيرا إلى أحد الأماكن بالمتاهة حيث لم يذهبا إليه أبدا : هذا هو محطة الجبن « ن ».

وصرخا مبتهجين، لقد وجدا ما كانا يبحثان عنه، مورد كبير للجبن الجديد. لم يصدقا ناظريهما، لقد كان أكبر مخزن للجبن يمكن لهما كفأرين رؤيته.

و في ذات الوقت، كان هيم و هاو لا يزالان في محطة الجبن « ج » يقيمان الموقف و كانا يعانيان من آثار غياب الجبن، وأصيبا بالإحباط و الغضب، و بدأ في تبادل عبارات اللوم على ماحدث.

و من لحظة لأخرى كان هاو يفكر في صديقيه الفأرين سنيف و سكورى ويتساءل عما إذا كانا قد توصلا إلى أي جبن، و اعتقد بأنهما يمران بوقت عصيب، و انهما يعانيان من بعض التشكك و عدم اليقين في تخبطهما داخل المتاهة. ولكنه عرف كذلك أنه كان من الرجح أن يستمر هذا الحال معهما للحظات قليلة.

و كان هاو يتخيل في بعض الأحيان أن سنيف و سكورى قد وجدا جبنا جديدا و أنهما يستمتعان به، وفكر في مدى روعة دخوله في نوع من المغامرة داخل المتاهة بغية العثور على جبن جديد طازج، بل كاد يصل في تخيله إلى حد شعوره بطعم هذا الجبن الطازج. و كلما كان هاو يرى هذه الصورة في مخيلته (أي أنه وجد جبنا جديدا و أنه يستمتع به) أكثر وضوحا، كان يزيد تخيله لنفسه وهو يغادر محطة الجبن « ج »

و فجأة صاح قائلا: « فلنذهب بعيدا عن هنا ».

أجاب هيم سريعا : «كلا، إنني أحب هذا المكان وأشعر فيه بالراحة، وهذا هو ما أعرفه بالإضافة إلى أن المحيط الخارجي محفوظ بالمخاطر ».

رد هاو قائلا «كلا الأمر ليس كذلك، لقد جرينا من قبل في أماكن عدة داخل المتاهة ويمكننا القيام بذلك مرة أخرى»

قال هيم: لقد أصبحت عجوزا جدا للدرجة التي لا أقوى فيها على فعل ذلك، وأخشى ألا أكون راغبا في أن أظل الطريق، وتظهر سذاجتى، أترغب أنت في ذلك ؟»

عند هذه المرحلة، عاد شعور الخوف من الفشل ليسيطر على هاو، وتلاشى أمله في العثور على جبن جديد. لذا استمر القزمان في عمل نفس الشيء كل يوم، يذهبان إلى محطة الجبن « ج »، دون العثور على شيء، ثم يعودان إلى منزليهما محملين بالمخاوف والقلق والإحباط. حاولا إنكار ما يحدث لهما وعانيا من صعوبة في الحصول على قسط وافر من النوم. وضاعت قوتهما في اليوم التالي، و أصبحا سريعي الغضب. لم يعد منزلهما المكان الدافيء كما كان ذات مرة، وعانيا من صعوبة في النوم ورؤية الكوابيس ليلا والتي تتعلق بعدم عثورهما على أي جبن.

إلا أن هيم وهاو ظلا يعاودان نفس الشيء بالذهاب إلى محطة الجبن « ج » والانتظار هناك كل يوم.

قال هيم : « إنك تعرف أنه إذا ما عملنا بجد أكثر مما نحن عليه، ستجد أنه لا شيء قد تغير بالفعل فربما تكون قطعة الجبن قريبة من هنا، وربما يكونون قد أخفوها وحسب خلف الجدار ».

وفي اليوم التالي، عاد هيم و هاو حاملين أدواتهما. أمسك هيم بالإزميل (المنحت) بينما استمر هاو في الطرق باستخدام المطرقة، حتى أحدثا ثقبا في جدار محطة الجبن « ج » واسترقا البصر ولكن دون جدوى، فليس هناك جبن.

و أصيبا بخيبة أمل، ولكنهما أصبحا مؤمنين بقدرتهما على حل المشكلة، لذا أصبحا يبدآن عملهما في وقت مبكر و يستمران لوقت أطول و يعملان بجد أكثر. و لكن بعد مرور بعض الوقت، كل ما توصلا إليه هو إحداث ثقب كبير في الجدار. أخذ هاو في إدراك الفارق بين النشاط و الإنتاجية.

قال هيم : « ربما يتعين علينا مجرد الجلوس هنا و انتظار ما قد يحدث. إن عاجلا أم آجلا يتعين عليهم ان يعيدوا الجبن ».
أراد هاو أن يؤمن بذلك، لذا كان يعود إلى المنزل كل يوم ليحصل على قسط من الراحة ثم يعود على مضض مع هيم إلى محطة الجبن « ج » ولكن الجبن لم يظهر أبدا.

وبمرور الوقت أصبح القزمان ضعيفين نتيجة الشعور بالجوع والضغط، وسيطر التعب و الإرهاق على هاو من مجرد الانتظار حتى يتحسن وضعهما، و بدأ في رؤية حقيقة أنه كلما استمرا طويلا دون الجبن، لأصبح وضعهما أكثر سوءا. و كان هاو يعرف أنهما قد فقدا كل أمل.

و أخيرا، بدأ هاو ذات يوم في السخرية من نفسه قائلا : « هاو انظر إلي، فإنني أقوم بنفس الشيء كل يوم مرات و مرات و أتعجب من سبب بقاء الحال على ما هو عليه دون تحسن، إن لم يكن الأمر يدعو للسخرية فقد يكون مدعاة للمرح ».

لم يكن هاو يرحب بفكرة الجري خلال المتاهة مرة أخرى، لأنه يعرف أنهما سيضلان الطريق وليس لديهما أية فكرة عن مكان وجود الجبن. ولكن كان يتعين عليه الضحك على غبائه عندما أدرك سبب خوفه من القيام بذلك.

و سأله هيم : « أين وضعنا رداء العدو و أحذية الجري ». و أمضيا وقتا طويلا حتى وجدا هذه الأشياء، لأنهما أهملا كل كل شيء طرحاه جانبا عندما عثرا على الجبن في محطة الجبن « ج »، معتقدين أنهما لن يكونا بحاجة إلى الحذاء والرداء مرة أخرى.

و عندما رأى هيم صديقه يرتدي رداء العدو، قال : « إنك لن تعاود التخبط داخل المتاهة حقا، أليس كذلك ؟ لم لا تنتظر هنا حتى يعاودا وضع الجبن ؟ »

قال هاو : « لأنك لا تستوعب الموقف، أنا لم أكن أرغب في رؤيتها أيضا، لكنني الآن أدرك أنهم لن يضعوا الجبن القديم مرة ثانية، لقد كان هذا جبن البارحة، لقد حان الوقت للبحث عن جبن جديد ».

لكن هيم تساءل : « لكن ماذا لو لم يكن هناك جبن بالخارج ؟ أو حتى إذا كان هناك، ماذا لو لم نجده؟»

قال هاو : « لست أدري »، وتساءل هاو محاولا الإجابة على تلك الأسئلة مرارا و تكرارا، ثم بدأ يشعر بالخوف الذي أقعده عن الحركة من قبل يتسلل إلى نفسه من جديد.

ثم فكر هاو في العثور على جبن جديد و ما يصاحبه من أحداث طيبة، فاستجمع رباطة جأشه. قال هاو : « في بعض الأحيان تتغير الأشياء و لا تعود لطبيعتها أبدا و يبدو أننا نمر بشيء مشابه. هذه هي الحياة يا هيم ! فالحياة تسير، ولابد أن نسير نحن أيضا ».

ونظر هاو إلى رفيقه الحزين و حاول إقناعه، لكن خوف هيم تحول إلى غضب عارم منعه من الإنصات لهاو. ولم يقصد أن يكون وقحا مع صديقه، لكنه لم يمنع نفسه من السخرية على حماقتهما. و بينما استعد هاو للرحيل، بدأ يشعر بالنشاط فقد علم أنه طالما سخر من نفسه، فسوف يعاود المسير دون أن ينظر وراء ظهره.

وصاح هاو معلنا : « لقد حان وقت المتاهة ! »

لكن هيم لم يضحك ولم يستجب لهاو.

و التقط هاو قطعة حجر صغيرة حادة ونحت بها على الجدار فكرة عظيمة لهيم كي يتأملها، وكما اعتاد هاو، فقد رسم صورة لقطعة جبن حول العبارة، وتمنى أن يساعد هيم على أن يبتسم، و ان يخفف من همومه، و ان يبدأ البحث عن الجبن الجديد، لكن هيم لم يفعل شيئا من ذلك. و كتب هاو في عبارته قائلا :

«إذا لم تتغير، فمن الممكن أن تفنى»

وبعد ذلك اشرأب هاو بعنقه وحدق بنظره في المتاهة، وفكر في كيفية أنه أدخل نفسه في هذه المحطة الخالية من الجبن. لقد ظن أنه لايوجد أي جبن في المتاهة أو ربما لن يجده، وهذه الظنون المخيفة كانت تشل حركته.

و ابتسم هاو، فهو يعرف أن (هيم) كان يتساءل في نفسه : « من الذي حرك قطعتي من الجبن ؟ » وتساءل (هاو) : « ولماذا لا أنهض و أتحرك مع قطعة الجبن حالا ؟.

و عندما بدأ في السير داخل المتاهة نظر (هاو) للخلف حيث المكان الذي جاء منه فشعر بالرغبة في العودة إليه، وشعر وكأن شيئا يدفعه إلى مكانه المألوف، على الرغم من أنه لم يجد أي جبن لبعض الوقت. أصبح (هاو) أكثر قلقا، وتساءل عما إذا كان يريد أن يدخل المتاهة. وكتب مقولة على الحائط في مستوى رؤيته، وحدق فيها أمامه، ودقق النظر فيها لبعض الوقت:

ماذا تفعل إذا لم تكن خائفا ؟؟ و أخذ يفكر في هذه العبارة.

إنه يعرف أن قليلا من الخوف قد يكون مفيدا أحيانا، و عندما تكون خائفا فإن الأشياء تتحول للأسوأ إذا لم تفعل شيئا، لذا فهو يحثك على التصرف، ولكنه يكون ضارا عندما تكون في حالة شديدة من الخوف، إذ إن هذا يقيدك عن فعل أي شيء.

ونظر عن يمينه إلى الجزء الذي لم يمر به في المتاهة وشعر بالخوف. وبعد ذلك أخذ نفسا عميقا، واتجه نحو اليمين داخل المتاهة واندفع ببطء إلى المجهول.

وبينما كان يحاول أن يجد طريقه، شعر هاو في البداية بالقلق لأنه ربما انتظر وقتا طويلا في محطة الجبن « ج » ـ ولم يتناول أي نوع من الجبن لمدة طويلة مما جعله يشعر بالضعف، وقد ظل على هذا فترة طويلة مما زاد آلام هذه الرحلة الشاقة داخل المتاهة، وقرر بأنه إذا سنحت له الفرصة مرة ثانية سوف يتكيف مع التغيير، وهذا يجعل التعامل مع الأمور أكثر سهولة.

وعندئذ ابتسم هاو ابتسامة خفيفة، وفكر في أنه « في التأني السلامة » وفي أثناء الأيام التالية : وجد بعضا من الجبن القليل هنا وهناك ولكنه لم يستمر في ذلك طويلا، وتمنى أن يجد جبنا كافيا ليعود ببعض منه إلى هيم لكي يشجعه على الدخول في المتاهة.

ولكن لم يشعر هاو بالثقة الكافية حتى الآن، وكان عليه أن يعترف بأنه وجد ذلك مربكا ومرهقا في المتاهة، حيث بدت الأشياء كلها أمامه وقد تغيرت منذ الفترة الأخيرة التي كان فيها خارج المتاهة. وعندما كان يعتقد أنه يتقدم في طريقه كان يجد نفسه تائها في الدهاليز، وبدا تقدمه وكأنه يسير خطوتين للأمام وخطوة للخلف، وكان هذا تحديا ولكن كان عليه أن يعترف بأن الرجوع للخلف في المتاهة والمطاردة من أجل الجبن لم يكن تقريبا بنفس الدرجة من السوء التي كان يخشاها.

ومع مرور الوقت بدأ و شعر بالدهشة والتساؤل عما إذا كان واقعيا أن يجد قطعة الجبن الجديدة، وتساءل « هاو » عما إذا كان يبالغ في تطلعاته، وابتسم بعد ذلك، و أدرك أنه ليس لديه ما يسوغ حلمه في هذا الوقت. وحين شعر بالإحباط يتسرب إلى نفسه ذكر نفسه بأن ما كان يعتقد أنه غير مريح، هو في الواقع أفضل من البقاء في مكان ليس به جبن. فكان يسعى للتحكم في تصرفاته أكثر من السماح لحدوث أي شيء، وبعد ذلك ذكر نفسه بأنه إذا كان سنيف و سكورى قد استطاعا التحرك والاستمرار في سعيهما، فمن الممكن له أن يفعل ذلك.

وعندما أعاد هاو التفكير في الأمور أدرك أن قطعة الجبن التي وجدها في المحطة « ج » لم تختف بين العشية وضحاها كما اعتقد من قبل. إن حجم الجبن كان يصغر شيئا فشيئا، وما تبقى منه أصبح قديما ولم يعد لها مذاق جديد. بل ربما بدأت طبقة من العفن تظهر عليه، على الرغم من أنه لم يلاحظ ذلك، ولذلك كان عليه أن يعترف أنه لو أراد ذلك ربما أمكنه فهم ما يحدث ولكنه لم يرد.

و أدرك هاو الآن أن التغيير ربما لم يكن ليمثل له مفاجأة لو كان قد شاهد ما كان يحدث طوال الوقت وتوقع هذا التغيير، وربما كان هذا ما قام به كل من سنيف و سكورى. وتوقف لأخذ قسط من الراحة، وكتب على حائط المتاهة :

«اشتم رائحة قطعة الجبن من حين لآخر حتى تعرف متى يصيبها العطب»

و بعد مرور فترة بدت طويلة لم يعثر فيها على قطعة الجبن، وجد هاو نفسه أخيرا أمام محطة جبن بدت مبشرة بالخير، وحين دلف إلى داخلها، أصيبة بخيبة أمل كبير، حيث أنها كانت خاوية.

وحدث هاو نفسه قائلا: «لقد راودنى هذا الشعور بالخواء كثيرا من قبل». وشعر باليأس قد أطبق عليه. وبدأ هاو يفقد طاقته الجسمية، وكان على يقين أنه قد ضل الطريق وأنه هالك لا محالة، وفكر في أن ينعطف ويعود أدراجه إلى محطة الجبن «ج». فلو وصل هناك، ولا يزال هيم موجودا، فلن يكون وحيدا على الأقل، ثم سأل نفسه مجددا: «ماذا كنت أفعل لو لم أكن خائفا؟».

لقد كان يخشى أكثر من أي شيء آخر أن يعترف حتى لنفسه بذلك. فلم يكن دائما على يقين من الشيء الذي يسبب له شعورا بالخوف، لكنه الآن، وفي حالته الهزيلة تلك، أدرك أنه خائفا، لانه لا يريد أن يستمر وحيدا، ولم يعرف هاو بأنه كان يجري، لأن أفكارا مخيفة أثقلت رأسه.

وتساءل هاو عما إذا كان هيم قد تحرك مجددا أم أنه لم يبرح مكانه بسبب مخاوفه، ثم استرجع في مخيلته الأوقات التي شعر فيها بأنه في أوج نشاطه داخل المتاهة. هذه الأوقات هي التي كان يتحرك فيها هاو ولا يتوقف عند أي شيء. وكتب هاو على الحائط، وكان يعلم أن هذه الكتابة ليست تذكيرا بمروره من هذا المكان، بقدر ما هي تذكير له شخصيا :

«إن السير في اتجاه جديد يجعلك تعثر على المزيد من الجبن»

تطلع هاو إلى الممر المظلم، وأدرك ما أصابه من خوف، ترى مالذي ينتظره في الطريق، هل سيكون خاليا؟ أو سيكون محفوفا بالمخاطر؟ وبدأ خياله الجامح يصور له كل الهواجس المفزعة حتى تملكه الذعر الشديد.

ثم سخر من نفسه، فقد أدرك أن هواجسه هذه تزيد الطين بلة، ثم فعل ما كان سيفعله لو لم يكن خائفا، واصل المسيرة لكن في اتجاه جديد. وعندما بدأ يجري في اتجاه الممر المظلم، أخذ يبتسم، ولم يدك هاو عندئذ أنه وجد غذاء روحه، فقد ألقى بالهموم خلف ظهره، وبدأ يثق فيما ينتظره من مصير،على الرغم من أنه لم يعرف ماذا سيكون.

واندهش هاو، إذ بدأ يستمتع بالأمر أكثر فأكثر، وأخذ يتساءل:«ترى ما الذي يجعلني أشعر بهذه السعادة ؟» « ليس لدي جبن، ولا أعرف إلى أين أنا ذاهب ». وقبل أن يمضي وقت طويل، اكتشف سبب شعورة بتلك السعادة، وتوقف كي يكتب على الحائط
مره أخرى :

«عندما تتحرك متجاوزا شعورك بالخوف، ستشعر بالحرية»

أدرك أنه وقع أسيرا لهواجسه، وعندما تحرك في اتجاه جديد، حرر نفسه من القيد.

الآن، و الآن فقط، بدأ يشعر أن نسيما باردا أخذ يهب على ذلك الجزء من المتاهة. التقط أنفاسا عميقة و أحس أن الحركة قد أعادت إليه الحياة، وبعد أن كسر حاجز الخوف، اكتشف أن الأمر أكثر إمتاعا مما كان يعتقد من قبل. ولم يكن هذا الشعور قد راود هاو منذ فترة طويلة، ولهذا السبب كان قد نسى مدى البهجة التي يدخلها على قلبه.

ولكي يجعل الوضع أفضل، بدأ في رسم صورة من وحي خياله، ونسج في تلك الصورة حتى أدق التفاصيل الواقعية، فقد تخيل نفسه جالسا وسط كومة هائلة من أنواع الجبن المفضل لديه، بدءا من الشيدر، و انتهاء بالبراي ! وتخيل نفسه وهو يأكل ما لذ و طاب منها. استمتع هاو بما رآه، ثم تخيل كيف أنه يستطيع أن يستمتع بتذوقها جميعا. كلما اتضحت صورة ذلك الجبن الجديد داخل عقله، زادت واقعيتها، وازداد شعوره بقرب عثوره عليه. ثم كتب :

«عندما تخيلت نفسي وأنا استمتع بالجبن الجديد، حتى قبل أن أعثر عليه، وجدت طريقي إليه»

حدث هاو نفسه قائلا : « لماذا لم أفعل هذا من قبل ؟ »

بدأ هاو يجري داخل المتاهة، لكن بقوة و رشاقة أكبر مما مضى، ولم يمض وقت طويل حتى عثر على محطة الجبن، وشعر بالسعادة وهو يلحظ قطع جبن جديدة قد وضعت بجانب المدخل. ولم يكن قد رأى قط في حياته أصناف الجبن تلك، لكنها بدت له رائعة. تذوقها، فوجد طعما طيبا للغاية، وتناول هاو معظم قطع الجبن الموجودة، ووضع بعضا منها في جيبه كي يتناولها فيما بعد، أو ليتقاسمها، وبدأ يستعيد قوته.

دلف هاو إلى محطة الجبن تغمره السعادة والإثارة. لكن، ولسوء حظه، وجدها خاوية، فقد سبقه إليها شخص ما، لم يترك سوى تلك القطع من الجبن الجديد. وأدرك أنه لو كان قد عجل الخطى، لوجد كمية كبيرة من الجبن هنا. وقرر هاو أن يعود أدراجه كي يرى إذا ما كان هيم على استعداد للانضمام إليه. وبينما هو يقتفي آثار العودة، توقف وكتب على الحائط :

«كلما أسرعت بالتخلص من الجبن القديم، عثرت على الجبن الجديد»

وبعد فترة نجح هاو في العودة إلى محطة الجبن « ج » ووجد عندها هيم، وعرض على هيم تناول بعض قطع الجبن الجديدة، لكن الأخير رفض العرض.

وشكر هيم صديقه على هذه اللفتة الجميلة، وقال له : « لا أعتقد أنني سأستمتع بالجبن الجديد، فأنا لست معتادا عليه، كل ما أريده هو جبني المفضل، ولن أتغير أبدا حتى أحصل على ما أريد ».

هز هاو رأسه وهو يشعر بخيبة الأمل، وجعل يؤخر رجلا ويقدم الأخرى، معاودا الانطلاق بمفرده من جديد، ومع وصوله إلى أبعد نقطة كان قد وصل إليها في المتاهة، بدأ يشعر بالحنين إلى صديقه، لكنه أدرك أنه بصدد اكتشاف

شيء ما. فحتى قبل أن يعثر على ما كان يعتقد أنه كمية هائلة من الجبن الجديد أدرك أنـه لـم يكن يشعر بالسعادة لمجرد عثوره على الجبن.

لقد كان سعيدا لأنـه لـم يصبح أسيرا لخوفه بعد الآن، وبدأ يستمتع بمـا يفعل. وحينمـا أدرك ذلك، لـم يشعر بذلك الضعف الذي انتابه حين كان يجلس في محطة الجبن «ج» الخاوية، وحينما أدرك أنه منع نفسه من أن يستوقفها الخوف، واتخذ وجهة جديدة، شعر بالحيـاة تدب في أوصالـه من جديد. لقد وجد الآن أن المسألة أصبحت مسألة وقت قبل أن يصل إلى ضالته المنشودة بالفعل. وابتسم حين أدرك أنه :

«من الأسلم أن تبحث في المتاهة، من أن تبقى دون جبن»

و أدرك هاو الآن، كما أدرك من قبل، أن ما تخشاه لـن يكـون بنفس القتامـة التـي يصورها لـك عقلك، وأن الخـوف الذي تتركه يسيطر على عقلك هو أخطر بكثير من الوضع القائم بالفعل.

لقد كان هاو متخوفا لدرجة كبيرة من أن لا يعثر على الجبن الجديد، لدرجة أنه لم يرغب في الاستمرار في البحث عنه، لكن ما إن عاود رحلته مجددا، عثر على قطع من الجبن في الممرات تكفيه لمواصلة المسير. الآن بدأ يتطلع إلى العثور على المزيد و المزيد، وأصبح مجرد التطلع إلى ما هو آت أمرا ممتعا في حد ذاته.

لقد كان تفكيره القديم مغلفا بسحابة من الخوف والقلق، فقد كان يشعر دائما أنه لن يعثر على جبن كاف، أو انه لـن يحظى به للمدة التي يريدها، وكان كثيرا ما يشغل باله بما قد يحدث له من مصائب، لا من مفاجآت سارة.

لكن هذا التفكير تغير في الأيام التي أعقبت تركه لمحطـة الجبن «ج». واعتـاد هـاو أن يعتقد بأنـه لا ينبغـي تحريك الجبن، وأن هذا التغيير ليس صائبا.

أما الآن فقد أدرك أن عدم التغيير أمرينافي نواميس الكون و الطبيعة، فلابد للتغيير أن يقع باستمرار سواء توقعناه أم لا، و لا يمكنك أن تفاجأ بـالتغيير، إلا إذا لـم تكن تتوقعه و تبحث عنـه. وحينمـا أدرك هـاو التغيير الـذي اعترى معتقداته، توقف كي يكتب على الحائط :

«إن المعتقدات البالية لا ترشدك إلى جبن جديد»

لم يعثر هاو على أي جبن بعد، لكن كل ما كان يشغل تفكيره وهو يعدو في ممرات المتاهة هو مـا تعلمـه حتـى الآن. لقد أدرك الآن أن هذه المعتقدات الجديدة تدفعه إلى التصرف على نحو جديد، فقد بدأ الآن يسلك مسلكا يختلـف عن مسلكه عندما كان يصر على العودة إلى محطة الجبن الخاوية.

وأدرك هاو أنك عندما تغير معتقداتك، فأنت تغير تصرفاتك.

عليك أن تعتقد بأن التغيير قد يضرك، وأنـه لابد لـك أن تقاومـه، أو يمكنك أن تعتقد بـأن عثورك على جبن جديد سوف يساعدك على استيعاب التغيير والتكيف معه. كل ذلك يعتمد على المعتقد الذي تختـار أن تـؤمن بـه. كتـب هـاو على الحائط قائلا :

«عندما ترى أنك تستطيع العثور على جبن جديد وتستمتع به، فستغير طريقك»

و أدرك هاو أنه كان سيصبح في حالة أفضل الآن لـو أنـه استوعب التغيير فـي محطـة الجبن «ج» بسرعة ودون تلكؤ، وساعتها كان سيشعر بالقوة تدب في جسده وروحه، ويستمر في التحدي حتـى يعثر علـى الجبن الجديـد، بـل كان في إمكانه العثور عليه بالفعل لو أنه توقع التغيير، بدلا من إضاعة وقته في مقاومته، بعد أن حدث بالفعل.

واستجمع هاو قواه وقرر مواصلة المسير في الأجزاء الجديدة من المتاهة وبدأ يجد بعض قطع الجبن المتناثرة هنا و هناك، فعادت إليه بعض طاقته وثقته بنفسه. وعندما فكر في الطريق الذي جاء منه شعر بسعادة، لأنـه كتب على

الحائط في أماكن كثيرة، فقد أيقن أن تلك العبارات ستكون دليلا لـه أثنـاء سيره فـي المتاهـة، إذا اختـار أن يتـرك محطة الجبن «ج».

وتمنى هاو لو أنه يسير في الاتجاه الصحيح، وفكر في إمكانية أن يقرأ هيم كتابته على الحوائط كـي يعـرف طريقـه هو الآخر. ثم كتب هاو على الحائط ما يعبر عما كان يدور بخلده لفترة من الزمن :

«ملاحظة التغييرات البسيطة تجعلك تتأقلم مع الغييرات الجذرية التي قد تصادفك مستقبلا»

والآن فقد طوى هاو صفحة الماضي، وبدأ يتطلع إلى المستقبل.

واستمر يقطع دروب المتاهة بقوة وسرعة أكبر مما مضى، ولم يمض وقت طويل حتـى حدث مـا كـان يتمنـاه. وفـي الوقت الذي شعر فيه هاو بأنه سيظل بهذع المتاهة إلى الأبد، أفضت رحلته ـ أو على الأقل هذا الجزء من رحلتـه ـ إلى نهاية سريعة و سعيدة. لقد عثر على جبن جديد في محطة الجبن « ن » !

حينما دلف إلى داخلها، لم يصدق ما رأته عيناه : جبال عالية هنا و هناك من الجبن الذي لم يره في حياته قط، ولـم يستطع التعرف على كل الأنواع الموجودة أمامه، حيث إن بعضها كان جديدا عليه تماما.

ثم تساءل هاو للحظات عما إذا كان ما يراه حقيقة أم من نسج الخيال، إلى أن وقعت عينـاه علـى صديقيه سنيف و سكورى. رحب سنيف به بإيماءة من رأسه، أما سكورى فقد لوح لـه بكفـه، وظهـر مـن معدتيهمـا الممتلئتين أنهمـا سبقاه إلى المكان بفترة ليست بقصيرة.

ألقى هاو التحية عليهما، ثم سارع إلى تناول قضمات مـن أنـواع الجبن المفضلـة لديـه، ثـم خلـع عنـه حذاءه ورداء التريض ووضعهما بالقرب منه حتى إذا احتاجهما مرة أخرى تناولهما سريعا ثم انقض على الجبن الجديـد، وحينمـا أخذ كفايته، تناول قطعة من الجبن الطازج في يده و صاح : « مرحبا بالتغيير ! ».

وبينما أخذ يستمتع بمذاق الجبن الجديد، استرجع ما مر به من أحداث وما تعلمه خلاله وأدرك أنه عندما كان خائفا من التغيير، فقد كان متمسكا في الواقع بوهم الجبن القديم، والذي لم يعد موجودا.

وتساءل هاو : « إذا ما الذي غيرني هل هو خوفي من أموت جوعا ؟ وحدث نفسه قـائلا : « لقـد كـان لـذلك تـأثيره ».

ثم ضحك وأدرك أنه لم يكن ليتغير لولا أن بدأ يسخر مـن نفسـه وممـا كـان يرتكبـه مـن أخطـاء، واكتشـف أن أسـرع طريقة للتغيير هي أن يضحك الإنسان من حماقته، وساعتها، سينسى ما فعل، وسوف يواصل المسير.

وأدرك هاو أنه تعلم شيئا مفيدا من صديقيه الفأرين، سنيف و سكورى فـي أمـر التنقـل إلـى موضـع آخـر، فقد كانـا يعيشا حياتهما ببساطة. لم يحاولا المبالغة في تحليل وتعقيد الأمور، وعندما تغير الموقع، وتحرك الجبن، غيـرا مـن أنفسهما و تحركا مع الجبن، ولم يكن بد من أن يتذكر ذلك.

استخدم هاو عقله الرائع كي يفعل مـا يفعلـه الأقزام بأسلوب أفضل مـن الفئـران. وتـدبر الأخطـاء التـي ارتكبهـا فـي الماضي، واستخدمها كي يخطط مستقبله، لقد أدرك أن باستطاعة الإنسان أن يتعلم كيف يتعامل مع التغيير :

كيف يأخذ الأمور ببساطة، كيف يكون مرنـا، وكيف يكون سريع التصرف.

يتعلم ألا يبالغ في تعقيد الأمور، وألا يقع فريسة لمعتقدات مفزعة.

يتعلم أن يلاحظ التغيرات البسيطة، لكي يكون مستعدا للتغيير الجذري، الذي قد يحدث في المستقبل.

أدرك هاو أنه بحاجة إلى التكيف سريعا مع التغيير، لإنه إن لم يفعل ذلك، فقد لاتواتيه تلك الفرصة أبدا. وكان عليه أن يعترف بأن أكبر عقبة تقف في طريقه تكيفه مع التغيير موجودة بداخله هو، وأن الأمورلا تتحسن إلا بعد أن تتغير أنت.

الأهم من هذا وذاك، أن هاو قد أدرك أن هناك دائما جبنا جديدا أمام عينيك، سواء لاحظته أم لم تلاحظه، وأنك تستمتع به فقط عندما تتخلص من مخاوفك وتخوض المغامرة.

وأدرك هاو كذلك أنه لاضير من بعض الخوف، إذ إنه قد يحميك من خطر محقق، ولكنه اكتشف أيضا أن معظم مخاوفه لم يكن لها مايبررها، بل إنها منعته من أن يتغير في الوقت الذي كان لزاما عليه أن يتغير.

لم يعجبه التغيير وقتها، لكنه أدرك فيما بعد أن ذلك التغيير هدية السماء إليه كي ترشده إلى المزيد من الجبن، رغم أنها كانت ترتدي قناعا.

لقد عثر هاو على جزء جميل من نفسه، وبينما كان يتذكر الدروس المستفادة، فكر في صديقه هيم، وتساءل عما إذا كان هيم قد قرأ شيئا من عباراته التي كتبها على الحائط عند محطة الجبن « ج » أو في باقي المتاهة.

ترى ما الذي كان يحدث لو طوى هيم صفحة الماضي، وواصل المسير ؟

ترى ما الذي كان يحدث لو دخل المتاهة، واكتشف ما كان يجعل حياته أفضل ؟

فكر هاو في العودة مجددا إلى محطة الجبن « ج »، ليرى ما إذا كان باستطاعته العثور على هيم، وهو يفترض أنه يستطيع العودة إلى النقطة التي كان فيها، وفكر في أنه إذا عثر على هيم، فسيمكنه عندئذ أن يريه كيف يخرج من مأزقه، ولكنه أدرك أنه قد حاول بالفعل أن يجبر صديقه على التغيير.

وكان على هيم أن يجد طريقه بمفرده، متغلبا على أوجاعه ومتجاوزا مخاوفه، ولايمكن لشخص آخر أن يؤدي له ذلك بالنيابة عنه، أو أن يقنعه بذلك ما لم يكن الاقتناع داخليا. كان يتعين على هيم أن يشعر بمزايا التغيير نفسه.

وعلم هاو أنه قد ترك خلفه أثرا لهيم كي يتعقبه، وأنه يستطيع بمفرده أن يجد طريقه، فقط إذا قرأ العبارات التي كتبها هاو بخط يده على الجدران.

ثم بدأ هاو في كتابة ملخص للدروس التي استفادها من رحلته على أكبر حوائط محطة الجبن « ن »، ثم وضع كل تلك الومضات داخل رسمة لقطعة جبن كبيرة، وابتسم وهو ينظر إلى ما كتبه:

١- التغيير يحدث
٢- قطع الجبن تتحرك باستمرار
٣- توقع التغيير
٤- استعد عندما يتحرك الجبن
٥- راقب التغيير
٦- اشتم رائحة الجبن كثيرا كي تعرف متى يصيبها العطب
٧- تكيف مع التغيير بسرعة
٨- كلما أسرعت بالتخلص من الجبن القديم، استطعت أن تستمتع بالجبن الجديد
٩- تغير
١٠- تحرك مع الجبن
١١- استمتع بالتغيير
١٢- تذوق طعم المغامرة واستمتع بمذاق الجبن الجديد
١٣- كن مستعدا كي تتغير بسرعة
١٤- واستمتع بالتغير من جديد
١٥- قطع الجبن تتحرك باستمرار

أيقن هاو إلى أي مدى قد وصل منذ أن كان برفقة هيم في محطة الجبن « ج »، ولكنه أدرك أنه من السهل أن يعود إلى ما كان عليه لو أفرط في الراحة، فقام كل يوم بتفقد الجبن في محطة الجبن « ن »، كي يطمئن إلى مخزون الجبن فيها، وكان على استعدادليفعل أي شيء كي لايفاجأ بأي تغيير لم يضعه في الحسبان.

وعلى الرغم من أن لديه مخزونا كبيرا من الجبن، أصر هاو على أن يخرج ليتجول في المتاهة كي يكون على علم بما يحدث من حوله، فقد أدرك أنه من الأسلم له أن يبقى على علم بالواقع من حوله، بدلا من أن يعزل نفسه في صومعته المريحة.

ثم أنصت هاو إلى صوت، ظن أنه صوت حركة بالخارج، وحينما أخذ الصوت يعلو تدريجيا، أيقن أن شخصا ما كان يقترب منه.

هل كان هيم ؟ هل كان يوشك على أن يظهر من بين أحد الأركان ؟ دعا هاو و تمنى ـ كما فعل كثيرا من قبل ــ أن يتمكن صديقه في النهاية من أن ... يتحرك مع الجبن و يستمتع بذلك.

الفصل الثالث: مناقشة

في وقت لاحق من ذات اليوم عندما انتهى مايكل من سرد القصة، نظر في أرجاء الحجرة فشاهد أصدقاءه السابقين وهم يبتسمون. و بعد ذلك سألت أنجيلا برقة وود : «أي الشخصيات تمثلكم في القصة ؟ سنيف، سكورى، هيم، هاو ؟ ».

و أجاب كارلوس : « ذات مرة قبل أن أعمل في بيع المستلزمات الرياضية عندما مررت بتجربة قاسية مع التغيير. إنني لم أكن « سنيف » فلم أكتشف حقيقة الموقف، ولم أفهم التغيير بسرعة، وبكل تأكيد لم أكن سكورى، حيث إنني لم اتسرع للقيام بعمل ما. إلا إنني كنت أشبه كثيرا « هيم » الذي أراد أن يبقى في منطقة مألوفة والحقيقة هي أنني لم أرد بالفعل التعامل مع التغيير بل حتى لم أرد تفهمه ».

وقال فرانك : « إن هيم يذكرني بأحد أصدقائي، حيث كان القسم الذي يعمل به على وشك الإغلاق، ولكن لم يرد تفهم هذا، وأخذوا ينقلون من كانوا يعملون معه إلى أقسام أخرى، وحاولنا التحدث إليه بشأن الفرص العديدة الأخرى الموجودة بالشركة لأولئك الذين يتسمون بالمرونة، ولكنه اعتقد بأنه ليس في حاجة إلىالتغيير، وكان هو الشخص الوحيد الذي اندهش عندما أغلق القسم، والآن فإن من الصعب عليه أن يتكيف مع التغيير الذي لم يتوقع حدوثه ».

ثم علق قائلا : « وهذا هو مافهمته من القصة. إنني أميل إلى أن أتعامل مع الأمور بجدية شديدة، وقد لاحظت كيف تغير« هاو » عندما استطاع في النهاية أن يسخر من نفسه ومما يقوم به،فلا عجب أن يكون اسمه «هاو».
وسألت أنجيلا : « هل تعتقد أن « هيم » تغير ووجد جبنا جديدا؟ ».

وقال إليان : «أعتقد أنه فعل ذلك».

قال كورى : « أنا لا أعتقد، فبعض الناس لا يتغيرون أبدا، وإنهم يدفعون ثمن ذلك.»

قال ناثان : « إنني أخمن أنه من الأفضل كثيرا أن نبادر بالتغيير وفي الوقت نفسه نحاول أن نتفاعل أو نتكيف مع التغيير. ربما يتوجب علينا أن نحرك الجبن الخاص بنا ».

قال ريتشارد : « إن مديري يقول لي دائما إن شركتنا تحتاج إلى التغيير، والآن أعتقد أن ما قصده حقا هو أنني أنا الذي أحتاج إلى التغيير إلا أنني لم أكن لأصغي إليه و أحسب حقا أنني ما علمت أبدا ما يعنيه الجبن الجديد الذي كان يحاول أن يحركنا نحوه، وكيف يمكنني أن أكسب من ورائه ».

وعبرت ابتسامة عريضة على وجه ريتشارد وقال : « لابد أن أعترف أنني أحب فكرة الجبن الجديد وأتخيلك مستمتعا به، إنها فكرة تضفي البهجة على كل شيء، إنها تقلل من الخوف وتجعلك أكثر شوقا لحدوث التغيير».

وقالت أنجيلا : « قد يكون الجبن القديم مجرد سلوك قديم، والذي نحتاجه حقيقة هو أن نتخلص من السلوك الذي يتسبب في إفساد علاقتنا، وبعد ذلك نستمر في اتباع أسلوب أفضل للتفكير والعمل ».

وعلق كورى : « فكرة جيدة. إن الجبن الجديد هو علاقة جديدة مع نفس الشخص ».

قالت جيسيكا : « إنني ذاهبة إلى المنزل لأحكي هذه القصة لأسرتي، وسوف أسأل أطفالي أي أبطال القصة يشبهني سنيف أم سكارى أم هيم أم هاو، وما عساهم يعتقدون في أنفسهم، وإننا لنستطيع التحدث عما هو الجبن القديم بالنسبة للعائلة، وكيف يكون الجبن الجديد. »

قال ريتشارد : « إنها لفكرة جيدة ».

قال مايكل : « هكذا قمنا بتطوير عملنا ».

« وباختصار، فالتغيير المفروض هو التغيير المرفوض ».

وأضاف مايكل : « لقد تمنيت لو أني قد سمعت قصة الجبن هذه قبل اليوم ».

وأضافت بيكى: « في العائلات يحدث نفس الشيء مع الآباء و الأبناء».

وبعد ذلك سألت : « كيف اختلفت الأمور بعد سماع الناس لقصة الجبن».

وقال مايكل ببساطة : « لقد تغير الناس، لأنه لايوجد فرد يريد أن يشبه (هيم)».

وضحك الجميع ومعهم ناثان، الذي قال : « إنها نقطة جيدة لا أحد في عائلتي يريد أن يشبه (هيم).

ربما يتغيرون. لماذا لم تخبرنا عن هذه القصة في اجتماعنا الأخير ؟ فقد كان ذلك حريا بأن يؤثر حقا».

لقد قدم ذلك لجيسيكا أفكارا عديدة وذكرها بأنها قد تلقت بعض طلبيات البيع صباحا، ونظرت إلى ساعتها وقالت: « لقد آن لي أن أترك محطة الجبن هذه و أبحث عن جبن جديد».

وضحك الجميع وبدؤوا يودعون بعضهم البعض، وعندما جاء وقت الرحيل شكروا مايكل مرة ثانية. وقد قال:«انني في غاية السعادة للاستفادة من القصة، وأتمنى أن تنتهزوا الفرصة لكي تشاركونا إياها قريبا مع الآخرين».